وقفات تدبر

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾

* قل: ليست لغوًا من الكلام أو زيادة في الحديث، هي أمر من الله سبحانه لرسوله ﷺ بتبليغ الرسالة الموحاة إليه، وهي خطاب لكل مؤمن بالله، وتالٍ للقرآن: أن انتبه لما سيلقى عليك، وما تؤمر بقوله، وفيها دلالة على أن النَّبيَّ ﷺ بلَّغ كلام ربّه ﷻ كما أوحي به إليه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم].

* ولعل فعل الأمر (قل) جاء جوابًا عن سؤال المشركين للنَّبيِّ ﷺ: انسب لنا ربك، فقرأ لهم ﷺ السورة، وكلمة «قل» تحدد العلاقة بين: الله ﷻ الآمر والرسول المأمور بالبلاغ، وبين الرسول المأمور بالبلاغ والناس الذين يصل إليهم هذا البلاغ وبين من يصل إليه هذا البلاغ والآمر به جلَّ وعلا.

وأخيرًا: العلاقة بين من يؤمن بهذا البلاغ ومنهج البلاغ نفسه فكأن كلمة «قل» تعني: ملخص الدين في حرفين.

﴿هُوَ﴾:

* ضمير الشأن، ويؤتى به لإثارة الذهن ولفت الانتباه لجلال ما بعده، وكأنه يناديك أن أنتبه، فالآتي عظيم القدر، عالي الشأن إنه الله ﷻ: المعبود بحق، والمألوه بصدق، الجامع لكل الأسماء الحسنى والصفات العلا، وإذا أردتم توضيحًا لذلك الإله المعبود المحمود فها هي صفاته.

﴿أَحَدٌ﴾:

فرد في ذاته، فرد في صفاته، ليس كمثله شيء، وجاءت بدلًا من واحد؛ لأن «أحد» لفظة لا تتعدد فهو أحد لا ثاني له، ولا نظير له، وهي الصفة التي

انفرد بها المولى سبحانه وهي الألوهية، ولفظة (واحد) قبلها (صفر) وبعدها (اثنان) أمَّا (أحد) فلا شيء قبلها ولا شيء بعدها لأنها خاصة بالله وحده، ولا تتجزأ كالواحد.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾:

الذي يُقصد في الشدائد فيستغاث لكشفها، المجيب لمن دعاه، والمغيث لمن استنصره.

الذي لا يقضى أمر إلَّا بإذنه، ولا يَقضِي أحد معه.

الغني عما سواه فلا يحتاج لأحد، والباقي الذي لا يفنى.

الذي تَصمدُ نحوه القلوب رغبة ورهبة.

الذي له الكمال كله، والجلال كله، والكامل الذي لا عيب فيه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**الصمد: السيد الذي كَمُلَ سؤدده، الحكيم الذي كَمُلَ حكمه، الرحيم الذي كَمُلَتْ رحمته، الجواد الذي كَمُلَ جُوده**»[1].

وتكررت لفظة «الله» لتوضيح صفاته، وللإشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل عن استحقاق الألوهية[2].

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾:

جاء النفي على الماضي لبيان أنه ليس له والد ولا ولد، وليس له نظير ولا كفؤ في ذاته، أو صفاته، أو أفعاله وأن هذه عقيدة ثابتة لا يناقش فيها إلَّا كافر أو ملحد، وهذا هو الفارق بين الخالق والمخلوق.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [النحل].

---

(١) ولله الأسماء الحسنى، د. عبد العزيز بن ناصر، ص٤٩١.

(٢) حدائق الروح (٣٢/ ٤٤٤).

دعوة للتأمّل

أخي الكريم تذكر عند قراءتك هذه السورة الكريمة:

- جهاد النَّبيّ ﷺ، وشرف دعوته عندما عاداه المشركون قائلين له: يا محمد فَرَّقْتَ كلمتنا، ومَزَّقْتَ وحدتنا، سَبَبْتَ آلهتنا، وخالفت ديننا، فما مرادك؟ إن كان مالًا جمعناه لك، وإن كان جاهًا أعطيناك إيَّاه، فانسب لنا معبودك، ووضح لنا إلهك، وصف لنا ربك، أمن ياقوت أم من ذهب أم من فضة؟!.

فجاءت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ سورة النجاة، سورة التجريد، سورة الأساس، سورة الإخلاص، سورة التوحيد، لتعلم البشرية كلها من هو الإله الذي يعبده المسلم، ويوحده، ويقدسه.

قال رسول الله ﷺ: «**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**»(١).

- تعدل ثلثه في ثواب القراءة، أو تعدل ثلثه قراءةً لمن لم يحسن قراءة غيرها، أو تعدل ثلث معاني القرآن، أو تعدل ثلث العقيدة والتوحيد.

فيا أخي ارفع رايتك واسعد بمولاك وقل:

* آمنت بأن المولى ﷻ واحد أحد، أستغيث به وألجأ إليه وأرجوه وحده سبحانه به وحده.

* وإذا آمنت أن مولاك ﷻ هو الصمد، فلِمَ لا تجعله مرادك، ومقصودك؟ أدعوك للتأمّل في حال الخلق، وسل نفسك ماذا يريدون؟ يريد -أغلبهم- كرة

---

(١) متفق عليه: البخاري برقم (٤٦٢٨) ومسلم برقم (١٣٤٤).

obeikandl.com

القدم، أو الفيلم، أو المتصب، أو.. إلخ. وماذا تريد أنت من: «الله الصمد؟».

احذر من تلاوة الكاذبين، الذين تخالف فعالهم أقوالهم، وإذا كنت صادقًا فلتجعل الله وحده هو المقصود لدفع الكُربات، وجلب الخيرات، وتكفير السيئات، وقبول الطاعات.

* وما أروع أن تتدبَّر حديث النَّبيّ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ أَقْوَامٍ نِعَمًا يُقِرُّهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، مَا لَمْ يَمَلُّوهُمْ فَإِذَا مَلُّوهُمْ نَقَلَهَا إِلَى غَيْرِهِم**»(١).

فما أجمل أن تتخلق بصفاته، وتحيا بأسمائه، فإن قصدك أحد من الخلق لقضاء حاجة، أو لطلب مساعدة، فانهض وبادر واحذر ما حذرك منه النَّبيّ ﷺ في قوله ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا يَخْتَصُّهُم بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ العِبَاد، وَيقرَّهم فِيهَا مَا بَذلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِم**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ ﷻ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتَهُم وَخَلَّتُهُم وَفَقْرُهُم احْتَجَبَ اللَّهُ ﷻ، دُونَ حَاجَته وَخَلته وَفَقْرِهِ**»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِ**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (١٥٠٦) وفي الأوسط برقم (٨٣٥٠) وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٦١٦).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٥٢٩٥) وصحَّحه الألباني في الصحيحة برقم (١٦٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي في السنن برقم (١٣٣٢) وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم (٦٢٩).

نِعْمَةً فَأَسْبَغَها عَلَيْهِ ثُمَّ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَتَبَرَّمَ فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ للزَوَالِ»[1].

❋ ❋ ❋

وكأني بسورة الإخلاص تناديك:

❋ أن نزِّه ربك عن الشبيه والنظير والمثيل.

❋ أن اتجه إلى الله ﷻ وحده في السَّرَّاء والضَّرَّاء والنعماء والبأساء، وخد قيمك، وعقائدك، وموازينك، وشرائعك من الواحد الأحد الذي تعبده وتمجده.

❋ أن قم وسله، صادقًا، الخلاص من شوائب الذنب، وحواجز النفس، وقيود الرغبة ودواعي الرهبة.

❋ انهض واربط قلبك برباط الحب والولاء بخالقه وفاطره.

❋ اعلم أن الأمر كله لله، والدين كله لله، والكون كله لله فاعمل لرفع رايته، وإعلاء كلمته.

❋ أخلص في عملك، واجعل همَّك إرضاء الله، فلا أحد ينفعك إلَّا بإذنه، ولن يضرك أحد إلَّا بمشيئته، فاجعله وحده معبودك ومحبوبك.

❋ ادعُ الناس إلى طريق الخير، وعرّفهم ربهم معرفة صحيحة، فوالله لو عرفوه ما عصوه.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٧٥٢٩) وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٢٦١٨).

obeikandi.com

المعوذتان

عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجْنا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا. قَالَ: فأَدْرَكْتُهُ فَقَالَ: «**قُلْ**». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثمَّ قَالَ: «**قُلْ**». فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا. قَالَ: «**قُلْ**». قُلْتُ مَا أَقُولُ قَالَ: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**» **وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن برقم (٥٠٨٤) والترمذي برقم (٣٤١٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١١٦٠).

فضائل وأسرار

١- عن (عقبة بن عامر) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس]»[(١)].

٢- عن (جابر بن عبد الله) رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقْرَأْ يَا جَابِرُ**». قُلْتُ: وَمَاذَا أَقْرَأُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس]. «فَقَرَأْتُهُمَا. فَقَالَ: اقْرَأْ بِهِمَا وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا»[(٢)].

٣- وعن (عائشة) رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا[(٣)].

٤- عن (عقبة بن عامر رضي الله عنه) قلت: يا رسول الله أقرئني أيًا من سورة (هود) وآيًا من سورة (يوسف) فقال النبي ﷺ: «**أيا عقبة بن عامر! إنك لن تقرأ سورة أحبّ إلى الله ولا أبلغ من أن تقرأ** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق] **فإن استطعت أن لا تفوتك في الصلاة فافعل**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨١٤).

(٢) أخرجه النسائي برقم (٥٤٤١) وابن حبان برقم (٧٩٧) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٤٨٦).

(٣) متفق عليه: البخاري برقم (٥٠١٦) ومسلم برقم (٢١٩٢).

(٤) أخرجه ابن حبان برقم (١٨٧٤) وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (١٤٨٥).

obeikandl.com

بيان وتوضيح

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾:

ألوذ وأحتمي بالرَّب المالك والسيد المتصرف في ملكه كما شاء وكيفما يريد.

* فعل الأمر (قُل) يدل على أنَّ النَّبيَّ ﷺ مبلغ عن ربه كما أوحي إليه، فعن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن المعوذتين فقال: «**قيل لي فقلت**» فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ[1].

* ﴿ٱلْفَلَقِ﴾: نور الفجر الذي يفلق ظلام الليل ويكشفه، وخصّ الفجر بذلك لما فيه من نور وضياء، فكأن المستعيذ بالله يقول: أعوذ بالله الذي أزال الظلمة، وكشف الكُربة.

* وللصبح مناسبة بيوم القيامة، فالناس في الدنيا يخرجون من منازلهم: فمنهم من يخرج سعيدًا أو حزينًا، أو مستقرًّا أو مضطربًا، وكذلك الحال يوم القيامة، فمن الناس من يشقى لمعاصيه، ومنهم من يسعد لطاعاته.

* وقيل هو: الجبال والصخور لأنها تفلق بالمياه أي تتشقق.

* وقيل هو: كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن الأمطار، والأرحام عن الأولاد؛ وكأن الذاكر يقول: أعوذ برب جميع المكونات وبمكونها[2].

- **فاصدق** في قراءتك فإن مولاك القادر على كل هذا هو القادر على استجابة دعائك، وتلبية استعاذتك وحمايتك مما تخشى أو تخاف.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٩٢).

(٢) روح وريحان (٣٢/ ٤٥٧، ٤٥٨) بتصرف.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾:

* من شرِّ كل مخلوق فيه شرٌّ وإيذاء.

* من شرِّ إبليس وذريته.

* من شرِّ جهنم وحرّها.

* ومن شرِّ النَّفس وهواها.

واعلم أن الشرّ الذي يصيب العبد قسمان:

الأول: ذنوب وقعت من العبد، فيعاقب عليها ويكون هذا الشر هو الذنوب وموجباتها لقوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ۝٥٤﴾ [الأنفال]، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣﴾ [النساء]، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل].

إذا كُنْتَ في نِعْمَةٍ فارْعَهَا ... فإنَّ المَعَاصِي تُزيلُ النِّعم[1]

الثاني: شر واقع بالعبد من غيره سواء كان إنسًا أم جنًّا أم هوامًا، أم غير ذلك. فجاءت الاستعاذة هنا من كل الشُّرور بأوجز لفظ وأجمعه[2].

مزيد بيان

(ما) هنا للعموم التقييدي الوصفي وليس العموم الإطلاقي إذ المراد: من

(١) ديوان عليّ بن أبي طالب، ص١٤٥، وانظر لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي، ص٣١٤.

(٢) تفسير المعوذتين، لابن القيِّم ص٢٣.

شرِّ كل مخلوق فيه شر وليس المراد الاستعاذة من شر كل مخلوق، وإلَّا فإن الجنَّة وما فيها، والملائكة كلهم خير محض[١].

فأنت هنا تستعيذ من كل شر في أي مخلوق فيه شر فالاستعاذة تقع على شرور الإنس والجن والنَّار والهواء كل ذلك وسواه.

إيمان قلب

وهنا مسألة عقدية: فالمولى ﷻ منزه عن كل سوء، ونقص، وشر، فالشر لا ينسب إليه ﷻ، ولا يتصور فيه ولكن ما يراه الناس شرًّا، وما يعتبرونه آلامًا إنما هو في الحقيقة خير ونعمة، فقد يكون هذا الشر الظاهري ابتلاء أو تمحيصًا، وسبحانه هو الرَّب الحكيم الذي يربي عباده بصنوف الأفعال، فافهم ذلك حسب حكمته سبحانه لا بحسب رؤيتك المحدودة، كما قال ﷻ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء]. وكما في حديث الاستفتاح: «**لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك**»[٢].

فأسماء ربك كلها حسنى، وأفعاله كلها رحمة وأحكامه كلها مصلحة فلا يتصور منه شر ولكن الأمر كما سبق بيانه وتوضيحه أن الشر:

إما الذنوب وتوابعها، أو إيذاء واقع بالعبد من غيره.

وكل شيء بحكمة وبمقدار يفقه ذلك أولو العلم والفهم؛ فمثلًا قطع يد السارق شر ظاهر بالنسبة إليه لكنه خير عظيم بالنسبة للمجتمع؛ لأن في ذلك ردعًا له ولغيره، ورفعًا للعقوبة عليه في الآخرة، والأمر كما قيل:

ووضْعُ النَّدَى في مَوْضع السَّيف بالعُلا مُضِرٌّ كوضع السَّيف في مَوْضع النَّدَ

---

(١) المصدر السابق، ص٤٠.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٧٧١).

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾:

القمر إذا غاب.

النجم، أو الأسود من الحيات.

الليل إذا دخل ظلامه.

الثريا إذا سقطت لأنه بسقوطها تكثر الآلام.

والمختار: من شر ما يكون في الليل إذا وقب، أي دخل بظلامه لأن في سكون الليل يخشى المرء من: لص يهاجم، أو عدو يزحف، أو جن يتسلط، أو هَمّ يسيطر، أو شيطان مخيف، أو شهوة تتحرك، فالليل هو محل الظلام وفيه تتسلط شياطين الثقلين وتصنع ما لا تصنعه بالنهار كما سئل مُسيلِمة الكذاب كيف يأتيك الذي يأتيك قال: في ظلماء حندس، وسُئل النَّبي ﷺ ذات السؤال فقال: في مثل ضوء النهار[1].

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾:

أي من شر السواحر السَّاعيات بالأذى بسحر الناس، وهُنّ يعقدن العقد في خيط أو حبل أو نحو ذلك ثم ينفثن فيه؛ وجاءت جمعًا ومعرفة؛ لأن كل نفاثة شريرة.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾:

* من شر الحاسد إذا سعى لحسده، وأراده فيدبر للمحسود المكائد كي يُوقع به، وليس لدى المرء ما يرد كيده ويدفع شره إلَّا الاستغاثة بالقادر على حمايته وحفظه، وهو الله سبحانه، فهو نعم المولى ونعم النصير.

* وتأمَّل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله: «**إذا حسد**»؛ لأن الرجل قد

---

(١) تفسير المعوذتين، لابن القيِّم، ص٤٥ بتصرف.

يكون عنده حسد ولكن يخفيه، ولا يترتب عليه أذًى بوجه ما، لا بقلبه، ولا بلسانه، ولا بيده، بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك ولا يعامل أخاه إلَّا بما يحب الله. فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلَّا من عصمه الله.

وقيل (للحسن البصري): أيحسُدُ المؤمن؟ قال: ما أنساك إخوة يوسف[١]، ولتتدبر الفرق بين القوة التي في قلب المرء من إرادة الحسد، وهو لا يطيعها بل يعصيها طاعةً لله، وخوفًا منه، وإجلالًا له أن يكره نعمه على عباده، فيرى ذلك مخالفةً لله، وبُغضًا لما يحب الله، ومحبةً لما يبغضه، فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك، ويلزمها بالدعاء للمحسود، وتمني زيادة الخير والبركة له، بخلاف ما إذا حقق ذلك وحسده ورتَّب على حسده الأذى بالقلب واللسان والجوارح فهذا هو الحسد المذموم الذي منه الإيذاء وتمني زوال النعمة عن المحسود[٢].

وللحسد ثلاث مرات:

الأولى: تمني زوال النعمة.

والثانية: تمني استصحاب عدم النعمة. فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة؛ بل يحب أن يبقى على حاله من جهله، أو فقره، أو ضعفه، أو شتات قلبه عن الله، أو قلَّة دينه، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب. فهذا حسد على شيء مقدَّر، والأول حسد على شيء محقَّق. وكلاهما حاسد، عدو نعمة الله، وعدو عباده، وممقوت عند الله تعالى، وعند الناس، ولا يسود أبدًا، ولا يواسي فإن الناس لا يُسودون عليهم إلَّا من يريد الإحسان

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) الزهد، لهناد بن السري (٢/ ٦٤٢).

إليهم. فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبدًا إلَّا قهرًا، ويعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها فهم يبغضونه وهو يبغضهم.

الثالثة: حسد الغبطة، وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود من غير أن تزول النعمة عنه. فهذا لا بأس به، وهذا يكون في العلم النافع، والمال الحلال في يد الرجل الصالح.

ولا يعاب صاحبه، بل هذا قريب من المنافسة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[المطففين: ٢٦][(١)].

فالاستعاذة هنا ممن تحرك لحسده بالكيد للمحسود والسعي لإيذائه، ويبدأ الحسد بالنظر إلى نعمة الله على المحسود ثم تتحرك النفس غيظًا وحنقًا، وإرادة للأذى والكيد.

* ومن صور الحسد: حسد إبليس لآدم عليه السلام، حسد أبناء يعقوب لأخيهم يوسف، وحسد بني إسرائيل للعرب لأن فيهم النَّبي الخاتم.

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا ... أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ؟
أَسَأْتَ إِلَى اللَّه فِي حُكْمِهِ ... لأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبَ
فَجَازَكَ رَبِّي بِأَنْ زَادَنِي ... وَسَدَّ عَلَيْكَ وُجُوهَ الطَّلَبْ[(٢)]

فيا أخي

* ربك الذي فلق الصبح، وأظهره هو القادر على أن يفلق صخرة قلبك فتلين للحق، ويفلق جمود عينك فتدمع للهدى، ويفلق خمود جوارحك فتنهض للطاعة.

---

(١) تفسير المعوذتين، لابن القيِّم، ص٧١، وانظر بدائع الفوائد، لابن القيِّم (٢/ ٤٦٢).

(٢) غُذاء الألباب، شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد السفاريني (٢/ ٢١٨).

فالهج صادقًا وقل: يا من فلقت ظلام الليل بنور الفجر، افلق ظلمات حياتي، ونورها بالحق والهدى، وارزقني الرضى، وجنبني الحسد والزلل.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾:

* أمر عام من الله ﷻ وخطاب مفتوح لكل عبد مسلم؛ لأن أوامر القرآن ونواهيه عامة للجن والإنس على السواء، استعيذوا بالله، واعتصموا به، وتعلقوا به، وعادة ما يكون الملتجىء ضعيفًا يطلب الحماية من قوي قادر؛ وهل في الوجود أضعف من الإنسان إذا واجه أعداءه وحده بلا سندٍ من ربه أو حماية من مولاه؟!

وتأمل معي هذا الترتيب المبدع:

١- ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: لم يقل (الله) بل رب؛ لأن الملهوف يؤنسه أن تأتي النجدة من مالكه وخالقه وحاميه وراعيه؛ لأن الربوبية من أوائل نعمه سبحانه وتعالى على خلقه.

٢- ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾: فهو الحاكم المالك المتصرف في ملكه ومن كان مالكًا لعباده فهو القادر على حمايتهم ورفع ما يتهددهم.

٣- ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾: فهو الإله المعبود المعظم الذي يخضع له الناس ويذلون له.

ويأتي السؤال: لم كررت الناس؟

قيل: للاعتناء بشأنهم فمن لا شأن له ولا شرف فيه لا يُعبأ به.

وقيل: المراد بالناس الأول الصغار، وأضيفوا للرب لاحتياجهم إلى التربية أكثر من غيرهم.

والمراد بالثاني الشباب وأضيفوا للملك، لأن شأنهم الطغيان والطيش، فهو محتاجون لملك يسوسهم.

والثالث الشيوخ وأضيفوا للإله لأن شأنهم كثرة العبادة لقرب ارتحالهم وقدومهم على ربهم.

فإذا كان الله سبحانه ربًّا قادرًا، مربيًّا لعباده، مالكًا متحكمًا فيهم، معظمًا لديهم فبالله عليكم هل يستعاذ بغيره ويحتمي بسواه؟!

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾:

الشيطان الذي يوسوس للخلق. وقيل كل ما يخطر على القلب من الشر والكفر والبدع.

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾:

الرّجّاع الذي يرجع ويختفي إذا ذكر المرء ربّه[١].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ**»[٢].

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾﴾:

هنا أطلق الله الصفة أولًا: «**الوِسْوَاسِ الخَنَّاسِ**» وحدد عمله: «**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**» ثم حدد ماهيته «**مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ**» وهذا الترتيب يثير في الحس اليقظة والانتباه[٣].

* والوسوسة هي: الإلقاء الخفي في القلب، وهذا أمر تشترك فيه الجن مع الإنس، ومتى علم العبد ذلك أخذ أُهبته للدفاع عن نفسه، بعدما عرف عدوه ومدخله وطريقه.

---

(١) حدائق الروح (٣٢/ ٤٧٤).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة رقم (٣٤٧٧٤) ومشكاة المصابيح رقم (٢٢٨١).

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب (٦/ ٤٠١٠).

obeikandl.com

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ :

أي: نستعيذ بالله ﷻ من شياطين الجن وشياطين الناس.

وماذا بعد؟ ها أنت ذا قرأت المعوذتين ورددت حروف الهدى فلتعلن فقرك بين يدي ربك، ولتشهر إفلاسك فأنت بلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله؛ لهذا لجأت إليه واستعذت به.

* استحضر آثامك، وخطاياك، وساعات عمرك الضائعة، واندم عليها ندمًا صادقًا، واقرع باب المذلَّة والضعف.

ربَّاه

بِكَ أَسْتَجِيرُ ومَنْ يُجِيْرُ سِوَاكَا؟ فَأَجِرْ ضَعِيفًا يَحْتَمِي بِحِمَاكَا[1]

* انتبه إلى قلبك: من شياطين الإنس الذين يزينون لك الباطل بزخرف من القول، ويسمون الأشياء بغير اسمها؛ فيسمون الدعارة فنًّا، والرِّبا تجارة، والنِّفاق ذكاء، والرِّياء مهارة. هؤلاء الذين يتدسسون إلى عقلك وقلبك، مثل صديق السوء والنمام، وبائع الشهوات، وغيرهم ممن ينفذون إلى النفس، ويصلون إلى القلب والمرء عاجز عن دفعهم لكن الذي خلقه أعطاه وأمدّه بأعظم سلاح ألا وهو صدق اللجوء إليه سبحانه، والاستعاذة به، والاحتماء بجنابه.

ولا تخشى وسوسة الشيطان، فوصف ربك له بالخنَّاس صفة تخبرك بضعفه أمام المنتبه اليقظ لمكره وشره، فمن تصدى له بالذكر والطاعة خنس وعاد من حيث أتى، وأبشر بعون ربك لك، فلئن حاربك الشيطان وحزبه من الإنس والجن، فاعلم أن معك ربك الملك، مدبر الأمر، دعاك لهديه فالتزم، وندبك لأمره فاحرص عليه.

---

(١) كيف تكون مستجاب الدعاء، أمير بن محمد المدرى، ص٤٠.

المعوذتان: حكم وغايات

١- إن من مقاصد المعوذتين: تعميق التوحيد في النفوس وتعزيزه، وذلك لحاجة النفوس لمن يحفظها ويدفع عنها أنواع الشرور والأذى، وتعلقها بمن يحميها ويدفع عنها الشر ويرفعه عنها.

٢- وفي السورتين شهادة على بلاغ النَّبي ﷺ لرسالته بكل أمانة وصدق، يشهد لهذا قول أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن المعوذتين، فقال: «قيل لي فقلت» قال فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ[1].

٣- سورة الفلق تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد، وهو شر من خارج، وسورة الناس تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من داخل. فالشر الأول لا يدخل تحت التكليف، ولا يطلب منه الكف عنه؛ لأنه ليس من كسبه. أمَّا الشر الثاني في سورة الناس، فيدخل تحت التكليف، ويتعلق به النهي. فهذا شر المعائب والأول شر المصائب، والشر كله يرجع إلى العيوب والمصائب ولا ثالث لهما فانتظمتهما السورتان بأحسن لفظ وأوجز عبارة.

٤- الاستعاذة في سورة الفلق من المضار البدنية، وتكون من الإنسان وغيره، لهذا جاءت عامة، أمَّا الاستعاذة في سورة الناس فهي من الأضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها، لهذا جاءت مخصصة من نوع واحد.

٥- المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة وهي أنه رب الفلق، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهي الغاسق، والنفاثات

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٩٢).

والحاسد، وأما في سورة الناس فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة: وهي الرب والملك والإله والمستعاذ منه آفة واحدة، وهي الوسوسة.

٦- يترتب على ما سبق أن الثناء يجب أن يكون بقدر المطلوب، فالمطلوب في سورة الفلق سلامة النفس والبدن، والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلّت أعظم من مضار الدنيا وإن عَظُمت.

٧- هناك فرق بين نفس الالتجاء والاعتصام وبين طلب ذلك، فلما كان المستعيذ هاربًا ملتجئًا معتصمًا بالله أتى بالفعل الدال على ذلك فقال: (أعوذ) دون الفعل الدال على طلب ذلك، ولا ضير أن يأتي بالسين. فيقول: استعيذ بالله أي أطلب حمياته وعونه، ولكن هذا معنى غير نفس الاعتصام، فالأول مُخبر عن حاله وعِياذه بربه، وخبره يتضمن سؤاله وطلبه أن يعيذه. والثاني: طالب سائل من ربه أن يعيذه كأنه يقول: أطلب منك أن تعيذني، فحال الأول أكمل.

٨- اقترن الحاسد والساحر في سورة الفلق؛ لأن مقصدهما الشر للناس، والشيطان يقارن الساحر والحاسد ويحادثهما ويصاحبهما، ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان، وأما الساحر فهو يطلب من الشيطان أن يعينه، فلهذا -والله أعلم- قرن في السورة بين شر الحاسد وشر الساحر؛ لأن الاستعاذة من شر هذين تَعُمّ كل شيء يأتي من شياطين الإنس والجن. فالحسد من شياطين الإنس والجن، والسحر من النوعين. وبقي قسم ينفرد به شياطين الجن وهو الوسوسة في القلب فذكره في سورة الناس.

٩- قال بعضهم: لما أُمِرَ القارئُ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، خُتم القرآن بالمعوذتين، ليحصل الاستعاذه باللّه عند أول القراءة

وعند آخر ما يقرأ من القرآن، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابْتداء والانتهاء، فيكون القارئ محفوظًا بحفظ اللّه، الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره.

١٠- في سورة الفلق تم تخصيص ثلاثة أنواع من الشرور بعد ذكر عموم الشر لتكون كالتالي:

أحدهما: وقت يغلب وقوع الشر فيه وهو الليل.

الثاني: صنف من الناس أقيمت صناعتهم على إرادة الشر بالغير (الحاسد والساحر).

الثالث: صنف من شأنه أن يبعث على إلحاق الأذى بمن تعلق به (الشيطان وحزبه من الجن والإنس).

١١- بعث الأمل في النفوس، وانتظارها لموعود الله ﷻ بالفرج وذلك من قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ وهو كل ما يفلقه الله ﷻ، كالنبات من الأرض، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوى وغير ذلك. فطلوع الصبح مثلا كالمثال لمجيء الفرج فتعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة، والسعة بعد الضيق، والفتق بعد الرتق وعد كريم بإعاذة العائذ ونجدته، وتقويةً لرجائه ومزيد ترغيب له في دوام قرع باب الالتجاء إلى الله ﷻ.

١٢- لما كانت الاستعاذة في سورة الفلق من شر كل شيء أضيف الرب إلى كل شيء، أي بناء على عموم الفلق، ولما كانت في سورة الناس من شر الوسواس لم يضف إلى كل شيء.

١٣- لما كان شر الأشياء الظلام، فإنه أصل كل فساد، وكانت شرارته مع

ذلك وشرارة السحر والحسد خفية، خصَّها بالذكر من بين ما عمَّه من الخلق؛ لأن الخفي يأتي من حيث لا يحتسب الإنسان فيكون أضر.

١٤- العائن حاسد وهو أضر من الحاسد، ولهذا واللّه أعلم. إنما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن؛ لأنه أعم فكل حاسد عائن ولابد، فإذا استعاذ من شر الحسد دخل فيه العين، وهذا من إعجاز القرآن وبلاغته.

١٥- ونكّر غاسق وحاسد وعَرّف النفاثات؟ لأن كل نفاثة شريرة، وكل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضر. ورُبّ حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات، ومنه قوله ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»[(١)] ومنه قول أبي تمام: «وما حاسد في المكرمات بحاسد»[(٢)].

١٦- تعتبر سورة الفلق من أكبر أدوية المحسود؛ فإنها تتضمن التوكل على اللّه، والالتجاء إليه، والاستعاذه به من شر حاسد النعمة، فهو مستعيذ بولي النعم ومولِيها كأنه يقول: يا من أولاني نعمته وأسْداها إليّ أنا عائذ بك من شر مَنْ يريد أن يستلبها مني ويزيلها عني واللّه حَسْبُ مَنْ توكل عليه، وكافي من لجأ إليه.

١٧- تأمل حكمة القرآن وجلالته، كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس، ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة شره جميعه، فإن قوله: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ

(١) متفق عليه: البخاري رقم (٧٣)، ومسلم رقم (١٩٣٠).

(٢) ديوان أبي تمام، ص١٠٥.

ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ يعم كل شره ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شرًا وأقواها تأثيرًا وأعمها فسادًا وهي الوسوسة التي هي بداية الإرادة، فإن القلب يكون فارغًا من الشر والمعصية.

فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله فيصوّره لنفسه ويُمَنِّيه. فيصبر إرادة، ثم لا يزال يُمَثِّلُ ويُخَيِّلُ ويُمَنِّي ويشهي وينسي علمه بضررها ويطوي عنه سوء عاقبتها فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يرى إلا صوره المعصية والتذاذه بها فقط، وينسى ما وراء ذلك فتصير الإرادة عزيمة جازمة فيشتد الحرص عليها من القلب الذي يبعث جنوده. فيرسل الجنود في الطلب مددًا وعونًا. فإن فَتَرُوا حَرَّكَهم وإن تكاسلوا أزعجهم كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم] أي تدفعهم إلى المعاصي دفعًا كلما فتروا أو تكاسلوا أزتهم الشياطين وأثارتهم.

فأصل كل معصية وبلاء، إنما هو الوسوسة. فلهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة شاملة لكل ألوان شروره ومنها:

* أنه لص سارق لأموال الناس فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم الله عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف.

* ومن شره أن إذا نام العبد عقد على رأسه عقدًا تمنعه من اليقظة كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقدَة، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَة، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَة فأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلاَّ أَصبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسلان**»[1].

(١) متفق عليه: البخاري برقم (١٠٩١) ومسلم برقم (٧٧٦).

ومن شره أنه يبول في أذن العبد حتى ينام إلى الصباح. فعن أبي وائل عن عبد الله ﷺ أنه ذكر عند النبي ﷺ رجل فقيل ما زال نائمًا حتى أصبح ما قام إلى الصلاة فقال ﷺ: «**بال الشيطان في أذنه**»(١).

١٨- في قوله ﷻ: ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ وجيء من هذا الفعل بوزن فعَّال للمبالغة دون المنخس إيذانًا بشدة هروبه ورجوعه وعظم نفوره عند ذكر اللّه، وأن ذلك دأبه وديدنه؛ إذا ذكر الله هرب وانخنس وتأخر. فإنّ ذكر الله هو مقمعته التي يُقمعُ بها كما يُقْمَعُ المفسد والشرير بالمقامع التي تردعه من سياطٍ وحديد وعصي ونحوها. فذكر الله يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه كالسياط والمقامع التي تُؤذي مَنْ يُضْرَبُ بها.

١٩- قال ابن القيم: «فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر الله ﷻ وتوحيده واستغفاره وطاعته عذّبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار، فلابد لكل أحد أن يُعَذِّبَ شيطانَه أو يُعَذِّبه شيطانُه»(٢).

٢٠- وتأمل السر في قوله ﷻ: ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ﴾، ولم يقل في قلوبهم والصدر هو ساحة القلب وبيته، فمنه تدخل الواردات إليه فتجتمع في الصدر، ثم تلج في القلب فهو بمنزلة الدهليز له وهذا من رحمة الله ﷻ.

٢١- وإنما ذكر أنه رب الناس، وإن كان ربًا لجميع الخلق لأن في الناس ملوكًا فذكّرهم أنه ملكهم، وفي الناس من يعبد غيره، فذكرهم أنه إلههم ومعبودهم، وأنه وحده الذي يجب أن يُستعاذَ به ويُلجأَ إليه، دون

(١) متفق عليه. البخاري برقم (١٠٩٣) ومسلم برقم (٧٧٤).

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٤٨٠).

الملوك والعظماء فهو ربّهم الحق والملك الحق والإله الواحد المستحق للعبادة وما دونه مربوب لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

٢٢- جاءت الاستعاذة برب الناس مضافًا إليهم خاصة؛ لأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل: أعوذ من أثر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم وحياتهم وهو إلاههم ومعبودهم.

٢٣- والآية من باب الترقي، وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس، فتقول: فلان رب الدار، وشبه ذلك، فبدأ به لاشتراك معناه، وأما الملك فلا يوصف به إلا آحاد من الناس، وهم الملوك، ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس، فلذلك جيء به بعد الرب، وأما الإله فهو أعلى من الملك، ولذلك لا يَدّعِي الملوكُ أنهم آلهة، وإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير.

٢٤- كُرّرَتْ لفظة الناس؛ لأن عطف البيان يحتاج إلى مزيد الإظهار، ولأن هذا التكرير يقتضي بيان شرف الناس؛ لأنه ﷻ كأنه عرّف ذاته بكونه ربًا للناس، ملكًا للناس، إلهًا للناس.

ومن الأدلة على شرف الناس:

أولًا: أن آخر كلمه عند ختم المصحف هي كلمة (الناس) وفي هذا مزيد شرف وعناية.

ثانيًا: تُكرّر كلمة (الناس) خَمْس مرات في هذه السورة، وهذا أيضًا له دلالاته.

فدلّ ذلك على أن الناس أشرف مخلوقاته، وإلا لما ختم كتابه بتعريف ذاته بكونه ربًا وملكًا وإلهًا لهم.

في سورة الناس تذكير بخطورة شياطين الإنس، وقَلّ من ينتبه لهذا الأمر، ولو قام أحدنا بزيارة للسجون، أو دور الملاحظة لعلم خطر هذه الوسوسة من شياطين الإنس حتى كان التذكير بها في آخر المصحف[1].

انظر إلى وسائل الإعلام ولتتأمل ماذا فعل بها وبنا شياطين الإنس الذين يزورون الحق، ويحرفون الكلم، ويزينون الباطل، ويصدون عن سبيل اللّه، والواقع يغني عن كثرة المقال ومزيد البيان!!!

(١) من مقال لفرحان العطار. انظر atar@gamalatar.com.

obeikandl.com

لا إله إلا الله

فضائل وأنوار:

عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصبِحُ «لا إلَهَ إلا الله وَحْدَه لا شرَيكَ له، لهُ المُلكُ ولَهُ الحْمدُ، يُحيي ويميتُ، وهو على كلِّ شيءٍ قَدِيْرٌ» عشْرَ مَرَّاتٍ** كَتَبَ الله لهُ بِكُلِّ واحدةٍ قَالَها عَشْرَ حَسناتٍ، وحطّ الله عنهُ بها عَشْرَ سَيْئَاتٍ ورَفعَهُ الله بها عشرَ درجاتٍ، وكُنّ له كعشرِ رِقَابٍ، وكُنَّ لهُ مَسْلحَةً من أولِ النهارِ إلى آخرِه، وَلَم يَعْمَل يومئِذٍ عمَلًا يَقَهرَهُنَّ، فإنْ قالَ حِينَ يُمْسِي فَمِثْلُ ذَلكَ»[1].

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ لا إله إلا الله وحده لا شَرِيكَ لهُ، لهُ المُلكُ ولهُ الحَمْدُ وَهُوَ على كلَّ شيءٍ قديرٌ في يومِ مائةَ مرةٍ؛ كانت لهُ عِدْلَ عَشْرَ رِقَابٍ، وكُتِبَتْ لهُ مائةُ حسنةً، ومُحِيَتْ عنهُ مائةُ سَيْئَةٍ، وكَانَتْ لهُ حِرْزًا من الشَّيْطَانِ يَومِهِ ذلك حَتَّى يُمْسِي، ولم يأتِ أحدٌ أفْضَلَ مما جاء به إلا أحدٌ عَمِلَ أكثرَ من ذلك**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٣٠٥٦) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٦٥٦).

(٢) متفق عليه. البخاري (٣٢٩٣)، (٦٤٠٣) ومسلم (٢٦٩١).

عن أبي عياش أن رسول الله ﷺ قال: «من قال إذا أصبح «لا إلَه إلا اللّهُ، وحْدَهُ لا شَرِيكْ لَهُ، لَهُ المُلكُ ولهُ الحمْدُ، وهُو على كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ» كان لهُ عِدْلُ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ اسماعيلَ وكُتِبَ له عشْرُ حسناتٍ وحُطّ عنه عشْرُ سَيْئَاتٍ ورُفِعَ لهُ عَشْرُ درجاتٍ، وكان في حِرزٍ من الشَّيْطَانِ حتَّى يُمْسِي، وإِنْ قَالَها إِذَا أَمْسَى كانَ له مِثْلُ ذلك حتَّى يُصْبِحَ»[1].

(١) أخرجه أحمد برقم (١٦٦٣٣)، وأبو داود برقم (٥٠٧٧) صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٨).

obeikandl.com

وقفات تأمل

الوقفة الأولى: (لا إله إلا الله وحده).

أي لا معبود بحق إلا اللّه، لهذا لا توسُّل إلا به، ولا رجاءَ إلا منه، ولا توكّل إلا عليه؛ ولقد أخطأ البعض حين اعتقد أن هذه الكلمة معناها: أن لا خالق، ولا رازق إلا اللّه وكفى، ولا خلاف أن الله هو الرب الخالق، الرازق، ولقد اعترف بذلك الكفار من قبل كما قال ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف]. ومع ذلك لم تنعقد لهم صفة الإيمان والإسلام حتى يُقِرّوا بأنه لا معبود بحق إلا الله ولا مغيث، ولا مألوه إلا الله وحده.

* يُحْكَى أن رجلًا أحبّ امرأة، فأرادت اختبار دعواه، فقالت: إن لي أختًا هي الأجمل، فانظرها، فبينما هما سائران أشارت إليه أن هذه هي أختي، فنظر إليها محدقًا فما كان منها إلا أن لطمته وقالت: يا كذاب أما تستحي مِنْ دعواك لي بأنك محب لي، مغرم بي، كيف وما إن أُرْشِدْتَ إلى سواي حتى نظرت، ودققت، وتعلقت؟!!

هذه امرأة غضبت؛ لأن من يحبها التفت إلى غيرها، فكيف باللّه ﷻ ؟!

❁ ❁ ❁

لم لا تستشعر أخي روعة وجلال هذه الكلمة، وسمو قدرها؟ فهي باب الجنة، وأساس الدين، ورسالة كل رسول، ومنهج كل نبي، وسبيل كل رشاد قال ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝٥٠﴾ [هود]، وقال ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود: ٦١].

ولتعلم أن هذه الكلمة هي عقد العبودية بينك وبين الله، فلتتدبر، ولتتأمل بنود عقدك؟ وإياك أن تعتقد أن الثواب العظيم المترتب على هذه الكلمة يناله الساهي عن تدبرها، والمتكاسل عن تحصيل معانيها، وتحقيق أهدافها!! فلا بد من تحقيق شروطها كما سيأتي بيانه.

الوقفة الثانية: تَدَبُّر شروطها المُوجبَة لثوابها وهي:

العلم بها علمًا يزيل الجهل: قال ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد].

اليقين بها يقينًا يدفع الشك: قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات].

القبول لمقتضياتها وتوابعها. قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف].

الانقياد لأوامرها وإتباع نواهيها. قال ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر].

الصدق في قولها صدقًا يرد الكذب. قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت].

قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ أحد يشْهُد أن لا إِلَه إلاّ الله وأنّ محمدًا رسُولُ الله صِدْقًا مِنْ قلبه إلا حَرّمَهُ اللَّه عَلَى النَّارِ**»(١).

(١) متفق عليه: البخاري برقم (١٢٨) ومسلم (١٥٧).

الإخلاص في قولها: قال ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وقال ﷺ: «**إن الله حَرّمَ على النّار مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إلاّ الله يَبْتَغِي بذلك وجْهَ الله ﷻ**»(١).

الحب لها ولقِيَمِهَا ومبادئها: قال ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة](٢).

فهذه شروط الانتفاع بكلمة التوحيد فمن حققها وعمل بها وابتعد عما يناقضها أوجب له ذلك مغفرة الذنوب بإذن الله ﷻ.

قال ابن رجب رحمه الله: «فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه، ولسانه وجوارحه أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية». فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيمًا، وحينئذ تحرق ذنوبه كلها ورُبّما قَلبَتْهَا حسنات.

❁ ❁ ❁

الوقفة الثالثة: لا إله إلا الله منهج حياة. لماذا؟

* لأنها حريةٌ لصاحبها فلا تستعبده آلهة أو أوهام أو أهواء أو شهوات فهو معبود لواحد فقط هو مولاه.

قال ﷻ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود: ٥٠].

---

(١) متفق عليه: البخاري برقم (٤٢٥) ومسلم برقم (١٥٢٨).

(٢) لمزيد من التفاصيل: انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد- شروط لا إله إلا الله. للدكتور: محمود عبد الرازق الرضوانى.

obeikandl.com

* لأنها حرية تُحَرِّر قائلها من عُرْفٍ فاسد، أو عادةٍ سيئة أو ظلم ظالم، واليوم·أسألك أين هي الحرية الحقة التي تنطلق من الفهم الصحيح: لـ (لا إله إلا اللّه)؟ أهي حرية التعرّي، و التفسّخ، و الإلحاد، والإفساد؟! أم هي حرية السلوك الرشيد والخلق القويم الذي يرفع صاحبه عن الهبوط والتثاقل إلى الأرض والخلود إلى همومها، وشهواتها، ومسالكها.

* السلوك الذي يضبط المشاعر ويوجهها الوجهة الصحيحة؛ لهذا نحب رسلنا- عليهم السلام- لكن بلا غلُوّ؛ لأن هذا ينحرف إلى التقديس المؤدِّي إلى العبادة والشرك ونحب أولادنا وأهلنا وأحبابنا ولكن دون إفراط أو تفريط وهكذا...

* اعتراف بالتزامك بأمره، وانتهائك عن نهيه فهي رقابة ذاتية في قلب قائلها، ولتنظر عندما حُرّمَتْ الخمرُ ماذا كان حال شاربيها وماذا صنعوا أمام أمر الله بتحريمها؟ واليوم تجند الجنود وتقام المحاكم وتُسَنّ القوانين لمحاربتها ومع ذلك فإن نسبة الشاربين آخذة في الازدياد.

* سكينة وأمان؛ لأن قائلها يُوقن بأن الله رب حكيم عليم فلا يُدبّرُ له إلا الخير، ولا يقدر له إلا الرشد؛ لهذا يطمئن إلى قدره وقضائه، فلا جزعَ عند ضراء، ولا تكبُّرَ عند سرّاء، فما ثَمّ إلا الصبر والشكر، واليوم لم ينتحر بعض أبناء الدول المترفة؟ ماذا ينقصهم وعندهم من الدنيا ما يريدون؟

* إعلان وإعلام، بأن الأمر كله للّه، وأن الدين كله للّه، وأن الملك كله للّه، فالحُكْم حُكْمُه والأمرُ أمره والعبد عبده، فلا اعتبار لما قالته الصوفية مثلًا أن الشيخ وأن القطب هو نائب الله والواسطة بيننا وبينه كلا.

* ميثاق أخلاقي، وضابط سلوكي، ومنهج عملي، قال ﷻ: ﴿۞ أَمَّن

يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد].

فأخلاقنا مضبوطة بقواعد (لا إله إلا الله) كي لا تكون فاسدة أو قائمة على مصلحة، أو مستندة إلى هوى، فالمرء إما أن ينضبط ويسير على الهدى، وإما أن ينحرف ويسير نحو الفجور، إما اتباع الوحي أو اتباع الهوى.

* حَكَمٌ فَصلٌ، وقانون عدل، وميزان فضل، بها نحكم على أنفسنا وأقوالنا وأفعالنا، هذا حسن، وذاك قبيح، فهي المقياس والمنظار، لا الأعراف والتقاليد، ولا اعتبار لسفاهات العلمانيين وأقوالهم نصنع ما يوافق ظروفنا، وتقتضيه مصالحنا دون تقيد بما سبق؛ لأن الزمان تغير والدنيا اتسعت، كأنهم غافلون عمّن خلق ودبّر وقدّر سبحانه، فهو الذي يقدر المصلحة قدرها؛ لأنه العليم الخبير.

قال ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم].

* استقلال فكري، وتمييز عقدي، ولتنظر مثلًا في أعمال كثير من الكُتاب والشُعراء وغيرهم، أين القِيَمُ التي يريدون تأصيلها؟ مَنْ يقلِّدون؟ وعلى خُطَى مَنْ يسيرون؟ وإلى أي غايةٍ ينطلقون؟ وأيِّ هدف يريدون؟ هنا تناديهم لا إله إلا اللّه: أين ربكم الذي تؤمنون به؟ أين أنا في أعمالكم في واقعكم، في أقوالكم؟

ولعل سائلًا يقول هل تريدون الإعلام بأنواعه: خطبًا ودروسًا ومواعظ؟

كلا: بل نريده برامج هادفة، تنطلق من قيم راسخة لا تُغَيّرُها الأعراف، ولا تدغدغها الشهوات، ولا تُبدّلُها الأمزجة.

* برامج تأخذ بأيدينا نحو خالقها، تريد أُخرانا وتعمر دنيانا، وتعلي ديننا وترسخ أقدامنا، وننشئ حضارة ترفع للعلم راية، وتعلي للحق لواء، وتستند إلي ميزان القوة العادلة، وتبنى قيمًا يأوي إليها كل راغب، وينهل منها كل مشتاق.

* **برامج نربي بها أولادنا** ماذا يحبون ولماذا؟ ماذا يكرهون ولماذا؟ نفسر لهم ما كان، وما هو كائن، نريدهم رجالًا فوق الأرضَّ كل الأرض؛ لينالوا الخير يوم العرض، وإن لم نفعل فالمصير قاس.

كما قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

* ومما ينبغي أن يُفْهَمَ أن لهذه الكلمة أعداء يسعون بكل جهدهم أن يصرفوا المسلمين عنها، وعن تبعاتها، ولوازمها لهذا يجب الحذر من سبيل المجرمين المعاندين لتلك العقيدة، ولأن الشيء لا يعرف إلا بضده. فلا بد من تدبر ما يضاد هذه الكلمة، ومعرفة أثره السيئ في الدنيا والآخرة، ومتى عرف العبد ذلك أدرك يقينًا روعة التوحيد وجلال أثره كما قيل:

عَرَفتُ الشَرَّ لا لشَر لَكِن لِتَوَقّيهِ ... مَن لَم يَعرِفْ الشَرَّ مِنَ الخَيرِ يَقَعُ فيهِ

واليوم- لغلبة الجهل- قد يقع المسلم فيما يناقض التوحيد وهو لا يدري

لذلك أُذكّرك -أخي الذاكر- بنواقض التوحيد على سبيل الإيجاز لتحذرها ولتحذر منها أَهْلَكَ وإخوانَكَ:

١- الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء].

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة.

٣- من لم يُكَفِّر المشركين، أو شَكّ في كفرهم، أو صَحّح مذهبهم.

٤- من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه.

٥- من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعًا.

والدليل قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد].

٦- من استهزأ بشيء من دين اللّه، أو ثوابه، أو عقابه.

والدليل قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة].

٧- السحر، والإيمان به والرضى: والدليل قوله ﷻ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ٢٠١].

٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين: والدليل قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ١٥].

٩- من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليه السلام.

obeikandl.com

١٠- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه، ولا يعمل له.

والدليل قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة].

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المُكْرَه، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه(١).

❁ ❁ ❁

الوقفة الرابعة: له الملك وله الحمد:

❁ سبحانه له الملك: وتقديم (له) للاختصاص فسبحانه هو مالك كل شيء، يتصرف في ملكه بما يشاء، وكيف شاء وما على العباد إلا الخضوع لأمره، وما ملك العبد لما يملك إلا عارية سترد يومًا ما إلى المالك الحق سبحانه.

فلم التكبر بما تملك؟ ولم التعالي بما أعطانا إياه الملك؟ فاخضع، وتواضع، وتدبر ذكرك «له الملك».

❁ وله الحمد: له الثناء الجميل، والذكر الحسن، على ما أعطى من النعم، وتفضل من الهدى، ومَنْ سواه أجدر بالحمد؟

الوقفة الخامسة: (يحيي ويميت)

❁ الإحياء في القرآن له عدة معانٍ:

١- البعث بعد الموت: قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ [البقرة].

---

(١) مجموعة مؤلفات شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب (٥/ ٢١٢- ٢١٤).

٢- البقاء في الدنيا: قال ﷻ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

٣- الخلق من العدم والإحياء أول مرة: قال ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الجاثية].

* والموت في القرآن له معنيان:

١- النوم: قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر].

٢- الموت ومفارقة الروح للجسد: قال ﷻ: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المؤمنون].

روعة بيان

يحيي ويميت:

* جمع بينهما لأن الموت يأتي بغتة، بين عَشِيّة وضحاها، فالمطلوب أن تذكره دومًا صباح مساء، ولتنظر بم تريد أن يُفتحَ يومك، وبم تحب أن يُختم؟ وكثيرًا ما تجد في الأذكار والأدعية لفتات نبوية إلى هذا المصير الحتمي الذي يشغلك عن تذكره هواك ونفسك، وشيطانك، ودنياك، وتذكر هذا الشعور بالحياة والموت يساعدك على الاستقامة ورد الحقوق، ويحد من طمعك وظلمك.

ثمرة الذكر

سبحانه له الملك كله، والمستحق للحمد كله فكذلك الإحياء والإماتة هو وحده الذي يحيى ويميت وهذه عقيدة يعرفها كل عاقل إلا أننا نرى بعض الذين تجاوزوا في تقديس مشايخهم وأئمتهم يعتقدون أن لبعض هؤلاء القدرة على إحياء الموتى كما يزعم بعض الصوفية.

* فيا أيها الذاكر: إياك أن تعتقد ما يقوله هؤلاء الضالون ولتصدق قلبك ما قاله لسانك فاللّه هو الذي يحيى الجسد البالي ببث الروح فيه.

وهو الذي يُحيي القلب الميت بنور ذكره، وجمال معرفته.

وهو الذي يُحيي الأرض البور بإنزال الغيث وإنبات الزرع.

وهو الذي يُميت كل حي وهو باق لا يموت.

فَرَبٌ هذه قدرته فمن غيره يملك النفع والضر، والعطاء والمنع؟ فأقبل على مولاك وسله أن يحيى قلبك ويصرفه نحو الطاعات، وهجر السيئات.

أَوَلا تتفكر؟

تـفـكّـر فـي مَـشْـيـكَ والـمَـآبِ ودَفْنِكَ بعد عِزِّكَ في التُّرَاب
إذا وَافَـيـتَ قَـبْـرًا أنْـتَ فـيـهِ تُـقـيـمُ بـه إلى يـومِ الحِسَابِ[1]

وهو على كل شيء قدير: هذه جملة من باب التتميم، فسبحانه هو القادر على الإعطاء، والمنع، والإحياء والإماتة، والرفع والخفض، والغنى والفقر، فإن كنت صادقًا في ذكرك فلم ترجو غيره؟ وتدعو سواه؟

فيا أخي وحِّدْ معبودك، تفزْ بكلّ خيْر.

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، عبد العزيز بن عبد الرحمن (١/ ٣٨).

أرباح وهدايا

* مَنْ قال هذا الذكر كوفئ بالثواب العظيم والأجر الجزيل ومن ذلك:

١- **كتب له مائة حسنة**: أي في كتابه وصحيفته.

٢- **ورفع له مائة درجة**: أي في الدرجات العلا.

٣- **كُنَّ له مسلحة**: أي سلاحٌ يدفع عنه كل عدو، وكل كيد، وكل شر وسوء، أو سلاح من الملائكة يحميه ويحفظه بأمر المولى ﷻ.

٤- **كُنَّ له كعتق رقاب من ولد إسماعيل**: ياللشرف- من ولد إسماعيل-، فكيف يُقَدَّرُ الثواب؟! واليوم لا يوجد عتق، ولا رقاب فكيف؟ المراد أن لك ثوابًا كثواب من أعتق عبيدًا من ولد إسماعيل. وياله من ثواب عظيم! وخُصّ ولد إسماعيل بالذكر لشرفه، وسمو قدره.

٥- **لم يأت أحد بأفضل مما جاء منه**: «هذا الرجل الذي عمل أكثر منه: الشرط فيه أن تكون الكثرة من جنس ما أتى به المُهَلِّل أو من غير جنسه من الخيرات حتى يكون مثله، والحديث فيه مطلق الزيادة، سواء كانت من التهليل أو من غيره. ويحتمل أن يكون المراد الزيادة من أعمال الخير لا من نفس التهليل[١].

مسألة: هل يقولها متتابعة وفي مجلس واحد أم لا؟ قلها متوالية أو متفرقة وفي مجلس واحد أو مجالس، فالأمر سواء ولكن الأفضل أن يأتي بها متوالية أول النهار ليكون حرزًا له في جميع نهاره[٢]. وكذلك إذا قالها أول المساء لتكون له حرزًا في ليله كله.

---

(١) العلم الهيب، بدر الدين العيني، ص٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص٩٨.

❑ أخي الذاكر:

إن السوق اليوم قائمة، والبضاعة حاضرة والفرصة سانحة، فانهض واشتري أغلى وأثمن ما تريد، ولكن سلْ نفسك: أي سلعة تريد؟ وأي بضاعة تحب؟

أخي هل هناك أغلى من الجنة؟ كلا، فأقبلْ واقرأ قول ربك ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح]، قال ﷻ: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود].

ومن الأرباح والهدايا

١- قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. قَالَ: الرَّبُّ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**»(١).

٢- وقال ﷺ: «**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**»(٢).

٣- عن الزبير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبّ أن تسرّه صحيفته فليكْثِرْ فيها من الاستِغْفَارِ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١١٢٥٥) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦١٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٨١٨) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦١٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٨٣٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٩).

٤- وقال ﷺ: «مَنْ قَال أسغفرُ الله الذي لا إِلَه إلَّا هُو الحيُّ القيُّومُ وأتوبُ إليه غُفرَ لَه وإنْ كان فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»(١).

٥- قال الأشعري رضي الله عنه: «كان لنا أمانان ذهب أحدهما، وهو كون الرسول حيًّا، وبقي الاستغفار معنا فإن ذهب هلكنا»(٢).

٦- قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بُنَيّ أكثرْ من قول ربّ اغفرْ لِي فإنّ لله ساعة لا يَرُدّ فيها سائلًا»(٣).

وفي الاستغفار فوائد

أولًا: ألا يقدم الله هلاكك في الدنيا: يقول جعفر الصادق: لو نزلت صاعقة من السماء لأصابت كل عبد إلا المستغفر.

لقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال].

ثانيًا: أنه متاع حسن في الرزق والجسم والولد: لقوله ﷻ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود].

ثالثًا: أنه سبب زيادة في المال والولد: لقوله سبحانه حاكيًا عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٥١٩) والترمذي (٣٥٧٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (١٣٥٨).

(٢) نضرة النعيم، (٢/ ٣٠١) (إشارة إلى آية الأنفال: ٣٣).

(٣) الدُّرْ المنثور، للسيوطي (٥/ ١٦٢).

* قال بكر بن عبد الله المزني: إن أعمال بني آدم ترفع فإذا رفعت صحيفة فيها استغفار رفعت بيضاء، وإذا رفعت صحيفة ليس فيها استغفار رفعت سوداء(١).

رابعًا: أنه سبب لتكفير السيئات ورفع الدرجات: لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء].

وفى الحديث أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ دَرَجَةَ الْعَبْدِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذَا؟ فَيَقُولُ: بَاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**»(٢).

وبهذا تواترت نصائح الصالحين كنصيحة (لقمان) لولده:

«يا بُنّى عوِّد لسانك: اللهم اغفرْ لي. فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلًا».

وقالَ الحسن البصري: «أكْثِرُوا من الاستغفار في بيوتكم. وعلى موائدكم وفى طرقكم وفى أسواقكم، وفى مجالسكم، وأينما كنتم. فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة»(٣).

خامسًا: أنه سبب لدفع المصائب، ورفع البلايا: فالمصائب في كثير من الأحيان سببها الذنوب والمعاصي(٤) كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى].

---

(١) قطار المستغفرين، جاسم المطوع، ص٣٨.

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٠٦١٨)، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (١٥١٩٨).

(٣) أسباب المغفرة، ابن رجب الحنبلي، ص٥٤.

(٤) وإن كانت هناك ابتلاءات تقع في بعض الأحيان لإظهار الصادق من الكاذب ولإثابة المؤمنين وتمحيصهم ومحق الكافرين كما قال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد]. =

سادسًا: أنه سبب لبياض القلب وصفائه ونقائه: فالذنوب تترك أثرًا سيئًا وسوادًا على القلب، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت، حتى يعلو قلبه ذاك الرين الذي ذكر الله ﷻ في القرآن:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين][(١)].

سابعًا: أنه يجلب محبة المولى ﷻ للعبد وكفى بهذه المحبة نعمة: قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢][(٢)].

ثامنًا: أنه أمان من عذاب اللّه: لقوله ﷺ: «**الْعَبْدُ آمِنٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﷻ مَا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ ﷻ**»[(٣)].

❀ ❀ ❀

= وضبط هذا يكمن في أن العبد ينظر في نفسه فإن وجدها خفيفة من الذنوب فليعلم أن ما وقع فيه إنما هو ابتلاء من الله، وعليه الصبر والرضا بأقدار الله سبحانه وتعالى والإكثار من الشكر والرضى فلعله رفع درجات، أما إذا رأى العبد نفسه مرتكبا للمعاصي ومسرفًا على نفسه ونزلت به مصيبة فليعلم أنها بسبب ذنبه فليقلع عن المعصية فورًا وليؤدي المظالم إلى أهلها ويقبل على التوبة والاستغفار والإنابة والرجوع إلى الله وليكثر من أعمال البر والخير المكفرة للذنوب.

(١) أخرجه أحمد رقم (٧٩٣٩) والترمذي رقم (٣٣٣٤) بإسناد قوى قاله الأرنؤوط.

(٢) كتاب الاستغفار للشيخ: مصطفى العدوي، ص٨٧ وما بعدها.

(٣) أخرجه أحمد برقم (٢٣٩٩٩) وقال شعيب الأرنؤوط: حسن بمجموع طرقه.

obeikandi.com